

# قَوْلُ يَدِ الْغُؤَيَّةِ

## Notes Lexicographiques.

### نقد تاريخ الأدب العربي

للاستاذ الزيات (تلو)

ونقل في ص ١٤٥ قول بعضهم في الصحاح بن عباد « لو رأى سبعة تحل بموقعها عروة الملك ويضطرب بها جبل الدولة لما هان عليه أن يتخلى عنها (١) » وقال في ص ١٥٩ « ولنظرة عجل في فهرس النسيمة للثعالبي تكفيك لتعلم أثر ذلك الشعب السياسي في نهضة الشعراء » فكيف انكر اولاً من هذا الكتاب وغيره ما يدركه الآن بنظرة عجل في فهرست النسيمة ؟ ونقل في ص ١٧٧ قول الأصمعي « ان شعر ابي العتاهية كساحة الملوك يقع فيها الجواهر والذهب والتراب والنوى » أفلا يدل هذا على تتبع منهم للشعر ؟ ونقل في ص ١٧٤ قول الجاحظ في بشار بن برد « كان بشار خطيباً صاحب منظوم ومنثور ومزدوج وسجع ورسائل وهو من المطبوعين أصحاب الابداع والاختراع المتفنين في الشعر القائلين في اكثر اجناسه وضروبها » وفي ص ١٨١ قوله في ابي نواس « ما رأيت أحداً كان اعلم باللغة من ابي نواس ولا أفصح لهجة منه مع حلالة ومجانبة استكراه ، ولج ابواب الشعر كلها إلا انها امتاز من كل الشعراء بفحش مجونه وصراحة قوله وصدقته في تصوير خليقته وبيئته ووصفه الخمر وصفاً لو سمعه الحسانان

(١) قلنا : ان هذا القول ينطبق على العماد الاصبهاني محمد بن صفى الدين الكاتب المشهور والمؤرخ البارع المتوفى سنة (٥٩٧) بدمشق ، فانه كتب مرة عن الملك الناصر صلاح الدين الى اخيه العادل محمد بن ايوب بمصر ما استوجب نفوره وضجيره وفي ذلك يقول القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني للملك العادل المذكور : « فتلك لفظة ما المقصود بها من الملك النسيمة وانما المقصود بها من الكاتب السجعة وكم من لفظة فظة وكلمة فيها غلظة حيرت عي الاقلام فسدت خلل الكلام وعلى الملوك الضمان في هذه التكتة وقد فات لسان القلم منها اي سكتة وكان الملوك حاضراً وقد جرت قوارع الاستحاث وصرصر البازي وقويت نفس (العماد) قوة نفس البنات والسلام » راجع « ٢ : ١٥٨ » من الوفيات .

لهاجرا اليها وعكفا عليها « ونقل في ص ٢١٠ ، ٢١١ قول الثعالبي في الشريف الرضي « وهو اشعر الطالبيين من مضي منهم ومن غير على كثرة شعرائهم المفلقين ولو قلت انه اشعر قریش لم أبعء عن الصدق ... واست ادري في شعراء العصر أحسن تصرفاً في المراثي منه « فهذه المقتطفات التي وضعها الأستاذ الزيات غيض من فيض مما ذكره علماء العرب على تطور النثر والنظم ومراتب الكتاب والشعراء فيه ، فلا يقال انهم لم يبينوا ما بين الشعراء والكتاب من علاقة في الصناعة والغرض والأسلوب ولم يذكرنا ماعرا النظم والنثر من تحويل وتقليب، ولكن يقال : ذكرناه مفرقاً مشتتاً .

٥ - عصر انحطاط الادب العربي

وقال الأستاذ في ص ٣ مقسماً الادب بحسب اعصره « ٣ - العصر العباسي ومبدأ قيام دولتهم ومنتها سقوط بغداد في يد التتار سنة ( ٦٥٦ ) وايد هذا القول في ص ١٢٣ بأن قال « ولكن العربية بقيت في حمي القرآن تدافع سيل الفارسية والتركية الجارف وقد عز النصير من اهلها حتى غلب التتار على بغداد فنلبت على امرها وخضعت لقانون الطبيعة القاهر بعدما خلفت في تلك البلاد شرائع وعلومها وآداباً لم تقو على محوها الايام « ثم نقض رأيه هذا في ص ١٦٠ فقال: « حتى تجرم القرن الخامس للهجرة فنهب معه جمال الشعر العربي من الشرق وفقد تأثيره في النفوس لذهاب المعضدين له من بني بويه وقلته الراغبين فيه من آل سلجوق واستشعار النفوس لذل الغلبة والقهر بتوالي الفتن والاحن « فاين بقي العصر الذي اشار اليه اذا كان جمال الشعر العربي قد انصرم بانصرام القرن الخامس ؟ ولماذا جعل هذا القسم ، وافقاً للعصر السياسي مع ان له عصرأ ادبياً اولي به من ذلك ؟ .

وما ادري كيف قال هذا وفي هذا العصر من الشعراء « الغزي الكلبى » و « شميم الحلي » و « مهذب الدين » و « ابن الآمدي » و « ابن السوادى » و « هبة الله بن الفضل » و « الطفرائي » الذي قال هو فيه بصفحة « ٢٢١ » ما مثله « شعر الطفرائي عامر الايات ، متين القايت ، مختار اللفظ » وفيه « ابن خياط الدمشقي » و « القاضي ابن النروي » و « الايوردي » و « ابن

الهبارية « و « حيص ييص » و « ابن الدهان الموصلية » و « ابن القيسراني » و  
« الأبله البغدادي » و « ابن التعاويني » و « ابن المعلم » و « وفق الدين الأربلي »  
و « المؤيد الآلوسي » و « نصر النعميري » و « أبو الفتوح بن قلاقس » و « البديع  
الأسطرلابي » و « ابن سعيد المنبجي » و « الخطيب الحنفكي » و « أبو الجوائز  
الواسطي » و « دلال الكتب الحظيري » و « ابن حمديس الصقلي » و « الرصافي  
الاندلسي » و « ابن أبي الصلت الأندلسي » و « ابن الصائغ » و « أبو العرب  
الصقلي » و « أبو بكر القرطبي » و « جمال الدين » و « مهذب الدين » و « ابن  
الصامات » و « عمارة اليمنى » و « ابن الحداد » و « القاضي الأرجاني » و « الرشيد  
ابن الزبير الفسائي » و « ابن مناه الملك » و « أبو بكر بن طفيل » و « علي بن  
حزمون » و « أبو بكر يحيى المرسي » و « شبل الدولة » وغيرهم من  
فحول الشعراء ؟

فقد كان الشعر محبوباً الى أهلنا حتى الى النساء . قال أبو محمد الحسن  
ابن عسكر الصوفي الواسطي : كنت ببغداد في سنة احدى وعشرين وخمسائة  
جالساً على دكة بباب ابرز للفرجة ، إذ جاء ثلاث نسوة فجلسن الى جانبي  
فانشدت متمثلاً :

هواء ولكنني جامد      وماء ولكنني غير جار

ومسكت ، فقالت لي إحداهن : هل تحفظ لهذا البيت تماماً ؟ فقلت : ما احفظ  
سواه ، فقالت : ان (١) انشدك تمامه وما قبله فماذا تعطيني ؟ فقلت : ليس لي  
شيء اعطيه ولكنني أقبل فالا . فانشدتنني الآيات المذكورة ، وزادت بعد  
البيت الأول :

إذا ماتأملت فيها فهي (٢) في -      تأملت نوراً محيطاً بنار

فهذا النهاية في الأيضاً      ضوءها النهاية في الأحرار

مصطفى جواد

يتبع

(١) هكذا ورد ولعل الأصل « من انشدك » راجع « ١ : ٣٨٩ » من الوفيات .

(٢) كذا ولعل الأصل « وهي فيه » .